Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في قوالبها وقواعدها الإلزامية بدأنا نسمع بعض الصيحات تتعالى هنا وهناك منددة بهذا الأسلوب رافضة له ، متأففة منه ، داعية إلى الإفلات منه والبعد عنه ، ومن هذا القبيل قول البحتري :

كَلَّفْتُمونا حُدُودَ مَنْطِقِكُم والشِّعْرُ يُغْنِي عَنْ صِدْقِه كَذِبُهْ
والشِّعرْ لمحٌ تَكفِي إشَارَتُهُ ولَيْس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خَطُبُهْ[1]

فحالة العرب مع البلاغة في قواعدها كحالتهم مع النحو وقواعده ، بل لعلها كانت أوضح وأبين ، ولذلك عندما نقول : إن البلاغيين ـ حتى عصر ( البديعيات ) ـ لم يستطيعوا أن يجعلوا من البلاغة فناً شعبياً ، فإنما نقصد ما وضّحناه ، ونعني إياه ، وإن كان يسوغ لنا أن نقول : إنهم هيأوا الأذهان لسماعها ، وأعدّوا النفوس لتقبلها بتكرارهم العزف على وترها في كتبهم المتتالية ما بين « بيان » الجاحظ ، وبديعية الحلي .

ثم جاءت ( البديعيات ) بهذا القالب الشعري ، ذي المضمون الديني ، لتطرح نفسها في سوق الأدب ، تحاكي مشاعر الناس وعقولهم ، محملة بأنواع البديع وذلك كان امتحانها الأول والصعب الذي تقرر عليه مصيرها ، إذ لولا اشتهار أول بديعية وسيرورتُها على ألسنة الناس لما تجرّأ شاعر على الإقدام عليها ، فإن الناس الذين استكثروا بضع صور بديعية في قصيدة ما ، سيواجَهُون الآن بقصيدة طويلة تحمل ـ إذا اعتدلت ـ صورة بديعية في كل بيتٍ ، إنه امتحان عسير .

وجاءت النتيجة ، وتلقى الناس ( البديعيات ) بقبول حسن ، واحتضنوها ، ورحّبوا بها بين ظهرانيهم ، وتسابق الشعراء في حلبتها ، وأقبل الشرّاح على مواردها ، وجنى الجميع من ثمارها .

---

(١) انظر ديوانه : ١ / ٢٠٩ .